

﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

- حفظه الله -

الخطبة بعنوان:

(تفسير سورة العصر)

بتاريخ [.....]

الخطبة بعنوان: (تفسير سورة العصر).

الخطبة الأولى:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء الله من شيء بعد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢) ﴿[الحديد: ٢]. بيده الخلق والأمر﴾ ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٦) ﴿[البروج: ١٦].﴾ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) ﴿[الإسراء: ٣٠]. يعز ويذل، ويكرم ويهين، ويخفض ويرفع، ويغني ويقني، ويضحك ويبكي، إليه المنتهى في الأمور كلها، خزائن كل شيء بيديه، ومنتهى الأمور كلها إليه، يفعل ما يريد﴾ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣) ﴿[الأنبياء: ٢٣]. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، أرسله الله رحمة للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل صلاة وأتم تسليم.

وبعد...

أيها الإخوة، فإن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول في كتابه الكريم: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (٤٥) ﴿[ق: ٤٥]. فأمرنا ربنا أن نذكر بالقرآن، وقال: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥١) ﴿[الأنعام: ٥١]. وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه الكريم: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) ﴿[الجاثية: ٦]. امثالاً لهذا ولغير ذلك من النصوص أذكر نفسي وإخواني بشيء يسير من كتاب الله، ولقد يسر الله القرآن للذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٧) ﴿[القمر: ١٧]. أذكر بسورة العصر وتفسيرها، فإن بعض الأئمة ويُنقل هذا أيضاً عن الإمام الشافعي

-رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم؛ ألا وهي سورة العصر" وهي من أقصر سور القرآن الكريم.

سورة: (العصر) من قصار السور سور القرآن الكريم، بل تكاد أن تكون أقصر سورة في الكتاب العزيز، يقول الله تعالى في هذه السورة المباركة: ﴿وَالْعَصْرِ (١)﴾ [العصر: ١]. فيقسم ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالعصر، فالواو واو القسم، وأحرف القسم كما هو معلوم ثلاثة أحرف: الواو، والباء، والتاء، تقول: والله، بالله، تالله ﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)﴾ [الأنعام: ٢٣]. قالوا أيضًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧)﴾ [الشعراء: ٩٧]. ﴿فِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢]. كذا أقسم إبليس، وقال أيوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «وَعِزَّتِكَ، لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ». فهذه أحرف القسم الثلاثة: الواو، الباء، والتاء.

فيقسم الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والمُقَسِّمِ عَظِيمِ وهو رب العالمين، الكبير، المتعال، علام الغيوب، الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما هو كائن، يقسم ربنا الكبير المتعال بالعصر ﴿وَالْعَصْرِ﴾. الواو: واو القسم، والعصر: المُقَسِّمُ به، والمُقَسِّمِ هو رب العالمين -سُبْحَانَهُ-، أما معنى العصر فللعلماء في ذلك عدة أقوال، فمن العلماء من قال: العصر الدهر كله، كل الحياة يُطَلَقُ عليها عصر، ومنهم من قال: العصر عمر الإنسان، عصر فلان ابن فلان أي: عمر فلان ابن فلان، ومن العلماء من قال: العصر هو وقت صلاة العصر، ومن العلماء من قال: العصر هو صلاة العصر نفسها، أقسم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بها، كذا قال فريق من أهل العلم، واستظهر الآخرون أعني الذين قالوا: العصر المراد به صلاة العصر بقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]. قال جل العلماء بناءً على حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ». وفي بعض الروايات: «كَمَا شَغَلُونَا عَنِ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ». ورواية بين الاثنين: «كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ». قالوا: فهذه أفضل صلاة، وقد خصها

الله بالذكر والتذكير بعد أن أمر بالمحافظة على الصلاة عموماً، أمر بالمحافظة على صلاة العصر ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾. نص عام ﴿وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾. خصها بالذكر لانشغال الناس عنها صلاة العصر، وقد جاء في فضلها أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاتَيْنِ». ذلك بعد حديث مطول فيه: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ يَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». فالملائكة تجتمع في صلاة الصبح ملائكة الليل مع ملائكة النهار، ويجتمعون كذلك في صلاة العصر، ثم يعرجون إلى ربهم، يعرج كل فريق ويأتي الآخر مكانه يسألهم: «كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ يَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

وقبل فرض الصلوات الخمس على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان على المسلمين صلاتان، قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]. فهاتان الصلاتان كانتا مفروضتان قبل العروج برسول الله وقبل فرض الصلوات الخمس، كانت صلاتان فقط: صلاة الصبح وصلاة العصر، وقال فريق من أهل العلم: إن سليمان - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لما شغل بالصفانات الجياد عن الصلاة، كانت الصلاة هي صلاة العصر بالدليل الوارد في الكتاب العزيز يفيد ذلك ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [ص: ٣٢]. أي: الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾. ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾. أي: حتى غربت الشمس.

فصلاة العصر لها قيمة عظيمة، ومن ثم ذكر الله بها، وأقسم الله - تَعَالَى - بها، ثم إن النبي حذر من التهاون فيها أشد التحذير، فقال: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ». وقال - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ -: «الَّذِي تَفَوُّتَهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ». أي:

كأنه رجع إلى بيته قالوا له: كل بيتك وكل مالك قد ضاعوا واحترقوا، وكل أهل بيتك قد ماتوا وهلكوا «الَّذِي تَفُوْتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ». وثمة أقوال أخر، فهذا من حجج القائلين بأن المُقسَم به في هذه السورة المباركة صلاة العصر ﴿وَالْعَصْرِ﴾.

وقالوا فيما قالوا: إن هذه السورة قابلت سورة: (الضحى) في باب، الضحى يذكر الله بالفلاح القادم لأهل الإيمان ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤)﴾ [الضحى: ١-٤]. أي: الدار الآخرة خير لك من الأولى. وهذه السورة في المقابل؛ لأن العمر أوشك على الانتهاء، يقسم الله بالعصر الذي آخر هو صلاة في النهار قبل غروب الشمس، يقسم ربنا أن الإنسان في خسارة، أن الإنسان في خسران إذا لم يغنم حياته ويستعبت قبل الممات ويستغفر فهو ضائع ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ [العصر: ١-٢]. الإنسان عموم الإنسان في خسارة، وتباب، وشتات، ودمار ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾. والمُستثنى سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

فعموم الإنسان في خسارة، عموم الإنسان في خسارة وخسران ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣]. وسيأتي بيان أمرهم -إن شاء الله-، يذكر بعض العلماء يقول: استوقفني تاجر يبيع الثلج عصرًا، فهو يصرخ ويصيح يقول: ارحموا من فقد رأس ماله الثلج سيذوب، ارحموا من فقد رأس ماله. قال هذا العالم: فذكرني هذا بعمر الإنسان وبالعصر، فعليك أن تبادر قبل أن تخسر كل رأس مالك وتضيع ويضيع عمرك، يضيع عمرك وأنت لم تغنم، فالله يقول: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾. في خسارة وضياح، هذا حال أغلب الإنسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. فالذين أُستثنوا من الخسارة هم الذين آمنوا ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. ليس فقط إيمان باللسان، ليس فقط حتى إيمان بالقلب، بل لا بد من عمل الجوارح ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وفي الآية رد عظيم على

المرجئة الذين يقولون: يكفي قول: لا إله إلا الله بلا عمل. فهذه فئة ضالة ظهرت في تاريخ الإسلام، تقول: يكفي قول: لا إله إلا الله بدون أي عمل، ويتركون العمل الصالح.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. فهم الناجون من الخسارة وليس فحسب، بل ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فشفعوا القول بالعمل كما في عشرات الآيات ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) ﴿مريم: ٩٦﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧) ﴿الكهف: ١٠٧﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٩) ﴿يونس: ٩﴾. إلى غير ذلك من عشرات النصوص "لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالْتَّمَنِّي وَلَا بِالْتَّحَلِّي، وَلَكِنْ هُوَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَنَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ، وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ كَذَلِكَ".

فعليك بالعمل الصالح ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. من قلوبهم ونطقوها بألسنتهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فلزاماً من الإيمان والعمل الصالح إيمان يتضمن بعداً عن الرياء، وهذا الذي شهدت به النصوص كذلك، العمل الصالح المصحوب بالنية الصالحة، وهذان شرطان يذكرهما العلماء لقبول العمل: النوايا الصحيحة النوايا التي تتضمن ابتغاء وجه الله بالعمل ووجه الله فقط وكذلك العمل الصالح ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢]. ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾. أخلص نواياه ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾. عامل بالصالحات نحوه ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) ﴿الكهف: ١١٠﴾. ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾. لا يرائي ولا يبتغي وجهاً غير وجه الله، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فلزم الإيمان، ولزم العمل الصالح مع الإيمان، ومع ذلك ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾. أوصى بعضهم بعضاً باتباع الحق وهذا يستلزم أموراً، أولها أن أعرف ما هو الحق، أن أعرف ما الحق الذي سأتواصى به، فليست معرفة الحق بالهوى، إنما معرفة الحق بتعلم كتاب الله وتعلم سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مع إقرارنا

بالتوحيد لله -عَزَّ وَجَلَّ-، فالحق يجب أن يُعلم حتى أتبعه من ثم، فأول خطوة معرفة الحق حتى أتواصى به، وإلا سأتواصى بماذا؟ والشخص بما يتواصى وهو يجهل الحق؟ ولذا فإن ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- يذكر مراحل الجهاد بعد بعثة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "العلم بما جاء به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم العمل بما جاء به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم تبليغ ما جاء به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم الصبر والجهاد" وهذا تضمن بعضه قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. ولذا بوب عدد من الأئمة مستدلين بهذه الآية ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. قالوا: العلم قبل القول والعمل.

فقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾. يستلزم منا أن نعرف الحق، نعرفه، ونتقن معرفته، لا نتعبد بجهل كالنصارى الذين وسِموا بالضلال لكونهم يتعبدون، ولكن على غير هدى وعلى غير بصيرة، وكالخوارج الذين نحقر صلاتنا مع صلاتهم، وصيامنا مع صيامهم، وأذكارنا مع أذكارهم، ومع ذلك هم -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- ضلال ومن أهل النار في نعم في الخلود كلام خلودهم في النار، لكنهم أصحاب جرائم وكبائر مع ذكرهم المتواصل، لكن كفروا أهل الإسلام، وقتلوا صحابة الرسول الكرام بل من أفضلهم، قتلوا علياً -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-، وكفروا عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وكفروا عددًا من الصحابة مع ذلك، كما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». ويُنْقَلُ عن علي وليحرر السند أنه سُئِلَ عنهم: «أَكْفَارٌ هُمْ؟ قَالَ: مِنَ الْكُفْرِ فَرُوا. قِيلَ لَهُ: أَمَنَافِقُونَ هُمْ؟ قَالَ: الْمَنَافِقُونَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، وَهَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ صَبَاحَ مَسَاءٍ. أَجَلُ فَمَا هُمْ؟ قَالَ: يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». وذكر بأحاديث رسول الله، لا يتعلقون من الدين بكبير شيء كما تأتي بسهم قوي حاد تضربه في صدر شخص فيخرج من ظهره ومن سرعته لا يتلوث بالدم، فكذلك يدخلون الدين ويخرجون

منه دون ما استفادة بهذا الدين القيم العظيم، لذلك قتلوا أهل الإسلام، وتركوا أهل الأوثان، ومن نبتهم السيء ما يظهر في هذه الأزمنة من جماعات التكفير التي تركز على تكفير المسلمين فضلاً عن جماعات التبديع، نبت السوء الذي خرج في هذه الأزمان كل همهم الطعن في أهل العلم، والنيل منهم، والتشهير بهم، ما دعوا إلى الله، وما ذكروا علمانياً بضلاله، وما ذكروا نصرانياً بما هو عليه من الضلال، ولا دعوا مشركاً يطوف بين القبور، لكن أقدار يقعون على أعراض العلماء كما يقع الذباب على الشيء الذي لا يُحمد.

أقول وبالله تعالى التوفيق لقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]. فلا بد من معرفة الحق ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾. يلزمني أن أعرف ما الحق الذي جاء به رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهذا يستلزم التعليم، ومن ثم فإن الله جعل للمتعلمين أجوراً أثناء تعلمهم الدين ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. «مَنْ تَعَلَّمَ آيَةً هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَةٍ، آتَيْنِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ». كما قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

فيلزم أن نعرف الحق الذي جاء به الرسول الذي أمر الله به حتى نتواصى به، أما أن نكون جهلاء لا ندري ما الحق ونمشي في الطرقات كالبهائم كما وصفها الواصف بهيمة عمياء يقودها أعمى ويسير بها على عوج الطريق الجائر، فهذا ضلال - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -، فلزمننا أن نعرف الحق الذي جاء به رسول الله، ومن ثم نتواصى به، ثم بعد معرفتنا للحق يلزمننا أن نعمل بهذا الحق، قبل أن نوصي غيرنا به نعمل به، ومع وصية غيرنا نعمل به، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ﴾ [الصف: ٢-٣]. أي: أن الله يبغضكم بغضاً عظيماً، كبر هذا البغض عند الله لكم إذا قلت ما لم تفعلوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ (٣) ﴿. أَيضًا قَدْ قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾ [البقرة: ٤٤]. وقال العبد الصالح شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود: ٨٨].

إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر رجلًا من أهل النار «فَتَنَدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ». تخرج أمعاؤه من بطنه، فيطوف بأمعائه في النار، فيلتف عليه أهل النار يحيطون به: «مَا لَكَ يَا فُلَانُ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، وَلَكِنِّي قَدْ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ». فيلزمنا أن نعرف الحق، وأن نعمل به، وأن ندعو الناس إليه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. فلا بد من معرفة الحق، والعمل به، ودعوة الناس إليه، وهذا شأن عموم أمة محمد وشأن الذين يريدون الفلاح من أمة محمد ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. وفي النصوص: «لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ». وفي الحديث: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». فبعد معرفة الحق والعمل به دعوة الناس إليه حتى يثبتوا عليه، وبعد ذلك الصبر، وستأتي ملامحه بعد قليل -إِنْ شَاءَ اللَّهُ-.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

جعلنا الله وإياكم من المؤمنين الذين يعملون الصالحات المتواصين بالحق وكذا المتواصين بالصبر، فهذه هي الفئة الناجية من الخسار، هذه الفئة الناجية من الخسران

المبين، عيادًا بالله من الخسران بكل صورته وبكل أشكاله، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. هي الفئة المستثناة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. بُيئت صور التواصي بالحق، وكانت تستلزم معرفة الحق أو بُين فيها أنه يلزم أن نعرف الحق، وأن نعمل به، وأن ندعو إليه، ومعلوم أن الذي يعلم الحق، ويعمل به، ويدعو إليه سيواجه بالشدائد، سيواجه بالابتلاءات؛ ذلك لأن الله -سُبْحَانَهُ- جعل الناس قسمين ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)﴾ [الشورى: ٧]. فأهل السعير لا يقرون لأهل الإيمان بالذي جاءوا به.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)﴾ [الأنعام: ١٢٣]. فأنت يا عبد الله إذا علمت الحق، وبعد عملت به، وبعد دعوت الناس إليه لا تظن أن الأشرار سيسكتون عنك، فهذه سنن ماضية في تاريخ البشرية، قام نوح يدعو إلى الحق فهاجمه قومه، ووصفوه بالسحر، والجنون، والخبل، وكذلك فعل قوم هود مع هود -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وقوم صالح مع صالح -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وقوم إبراهيم مع إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، بل ألقوه في النار، وهكذا فعل الظلمة عموماً مع الدعوة إلى الله وأهل الإيمان.

فلا تظن أنك ستترك إذا قمت تدعو إلى الله، بعد معرفتك للحق وعملك به تدعو إليه لا تظن أنك ستترك، وإذا تواصيت بالحق فلن يسكتوا عنك، ولذلك جاء الأمر بالصبر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم مذكراً بوصية الحكيم لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)﴾ [لقمان: ١٧]. فإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تستتبع ابتلاءات، فيلزمك يا بني على أن تصبر على ما أصابك، يلزمك ذلك يا بني، وتقدم

في كلام ابن القيم: "العلم بما جاء به رسول الله، العمل بما جاء به رسول الله، تبليغ ما جاء به رسول الله، الصبر والجهاد".

فيلزم أن تصبر، واعلم أن الدنيا وإن ضاقت أمامك فالعسر يتبعه يسر ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨) ﴿[الأعراف: ١٢٨]. ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١٦٥) ﴿[الأعراف: ١٦٥]. كذلك قال تعالى في شأن أكثر الأنبياء ومنهم صالح -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هود: ٦٦]. فهكذا دائماً ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢) ﴿[طه: ١٣٢]. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. إن حيتت فحياة خير وعاقبتها في الدنيا السلامة والأمان، وإن مت فإلى جنة ﴿عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿[آل عمران: ١٣٣].

فلزم التواصي بالصبر الصبر بكل أشكاله، صبر على أوامر الله تقول للناس: اصبروا على أوامر الله، امثلوها، اثبتوا عليها، الصبر على أوامر رسول الله وامثالها، كذلك الصبر عن المعاصي، والشهوات، والمحرمات، الصبر عنها بمعنى الامتناع عنها، فالصبر الحبس، والمراد حبس النفس إما على الطاعات وإما عن المحرمات، وكذا الصبر على الأقدار المؤلمة التي تعترى الشخص في حياته من أذى أهل الظلم له، كذلك تعتريه من أمراض، من أسقام، من خسارة في المال، من خسارة في الولد، والله يقول: ﴿وَلَنْبَلُوْنَاكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴿[البقرة: ١٥٥-١٥٧]. فصبر، وصبر، وصبر، وكل الصبر يُبتغى به وجه الله، ومن أشده وأصعبه على النفس الصبر على جهالات الناس وعلى حماقات الناس، فالجهلة كثيرون، وألفاظهم تؤذي وتؤلم.

فالصبر على جهالات الناس من أشق أنواع الصبر، ولذلك كان الرسول يتصبر إذا سمع مثل هذا، يأتيه الآتي يقول: أعطني يا محمد، لا تعطني من مالك ولا من مال أبيك، أعطني. النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يتصبر ويصبر، ويقول: «رَحِمَ اللهُ موسىَ قد أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». صبرٌ على جهالات الناس إذا ذهبت تدعو إلى الله، قالت عائشة لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «هل مر عليك يا رسول الله يوم هو أشد عليك من يوم أحد؟». يوم أحد الذي كُسِرَت فيه رأس النبي، كُسِرَت ثنياه، شج رأسه، وكُسِرَت أسنانه المقدمة - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وبُكِرَ بطن عمه حمزة، وقُتِلَ من قُتِلَ من خيار أصحابه كمصعب بن عمير، وعبد الله والد جابر بن عبد الله، وأفاضل كثير، قالت عائشة: «يا رسول الله، هل مر عليك يوم هو أشد عليك من يوم أحد؟ قال: يا عائشة، لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان من أشد ذلك عليّ يوم عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ أَدْعُوهُ إِلَى اللهِ فَكَذَّبَنِي. قَالَ: ارْجِعْ يَا كَذَّابٌ. كَانَ هَذَا مِنْ أَشَدِّ مَا لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ يَا عَائِشَةُ». فأذى اللسان أحياناً أشد من أذى السنان، وكما قال القائل:

جراحات السيوف لها التمام ولا يلتئم ما جرح اللسان
أقول: إلا بإذن الله، فالشاهد أننا نوطن أنفسنا على الصبر ما دمنا تحملنا الدعوة إلى الله وأعباءها، وما دمنا تقلدنا التواصي بالحق يلزمنا أن نصبر ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾. ومنه الصبر الناشئ عن أداء الحق وتبليغه، هذا والسورة الكريمة تضمنت كما سمعتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمتخلي عن هذا والتارك له - عِيَاذًا بِاللَّهِ - قد يلقي أشد الويل، قال تعالى في كتابه الكريم على لسان نبيين كريمين قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨]. وذلك على لسان نبيين كريمين ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾. ما سبب اللعن؟ ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]. كان أحدهم

يرى المنكر ولا يهتس للمنكر، ولا ينهى أهله عن هذا المنكر - عِيَادًا بِاللَّهِ -، فلا نكن مثل هؤلاء، إن الخيرية نيطت بأمة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ما السبب؟ ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

أيها الإخوة، إن النبي قال في فضل الصبر: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ». يعني: ينير لك الطريق. تتخذ قرارًا وأنت صابر، دارس للأمر، مستعينًا بالله أفضل من أن تصدر قرارًا وأنت طائش أحرق «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ». وفي الحديث الآخر: «وَمَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ عَطَاءً خَيْرًا وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ». كما في الآثار «يُصْبِرْهُ اللَّهُ». فلنوطن أنفسنا على هذه الأخلاق الحميدة، السورة فيها معاني جميلة من أجمل المعاني يضيق الوقت بذكرها، وصدق من قال: "لو تأمل الناس هذه السورة الكريمة لو سعتهم".

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾. عموم بني آدم في خسارة في خسران مبين إلا من استثناهم الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. هذا وفي بعض الآثار أن الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كانوا إذا التقوا ثم تفرقوا قرؤوا سورة العصر قبل تفرقهم، لكن السند بذلك لا يثبت، ففي السند رجل لا يُعْرَفُ حاله.

أيها الإخوة والأخوات، تواصوا فيما بينكم بالحق، تواصوا فيما بينكم بالصبر، ومن أعظم الحق الذي نتواصى به توحيد الله، توحيد الله أعظم الحق، أعظم الحق الذي علينا، حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله إن هم فعلوا ذلك ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا، نتواصى بالقرآن، نتواصى بسنة الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ونتواصى بالصبر على الثبات على هذا الطريق طريق الله الموصِل إلى جناته ومرضاته، طريق رسول الله، طريق الأنبياء والصالحين الذين ساروا على هذا الدرب

الكريم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

أسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الحق، اللهم اجعلنا من المؤمنين العاملين للصالحات المتواصين بالحق والمتواصين بالصبر، اللهم ثبتنا على هذا الطريق طريق الإيمان، طريق العمل الصالح، طريق التواصي بالحق، طريق التواصي بالصبر حتى الممات يا رب العالمين، اللهم نجنا من الخسران المبين، اللهم نجنا من الخسران، وأورثنا رحمتك، وفسيح الجنان، ورضوانك يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم ألف بين قلوب المؤمنين، وأصلح ذات بينهم، واحقن دماء المسلمين، واهداهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور يا رب العالمين، اللهم اصرف عنا، وعن البلاد، والعباد الكورونا، وسائر الأمراض، والأوبئة، والأسقام يا رب العالمين، اللهم فك أسرانا وأسرى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدنين، وارفع راية الإسلام والمسلمين عالية فوق كل الرايات، يا رب العالمين مسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، صلوا على البشير النذير وسلموا تسليماً.

وأقم الصلاة.

❑ يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

[https://www.youtube.com/channel-UckL۲vNPCvXU۱niLe۲KhKFXg](https://www.youtube.com/channel/UckL۲vNPCvXU۱niLe۲KhKFXg)

❑ رابط الخطبة:

<https://www.youtube.com/watch?v=xR۱J۳fqtpU&list=PL۹۲HwYx۳aJlvJO۳ewL۳GHuCxcMuOSHRNy&index=۱۹۹>

❑ رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

<https://www.facebook.com/groups-۱۲۵۸۰۲۰۱۱۱۰۱۹۰۶۷-?ref=share>